المحاضرة الثانية: المأساة (التراجيديا)

01-التعريف:

كلمة التراجيديا مشتقةٌ من الكلمة اليونانيةTragoidia ، والتي تعني بالحرف "أغنية الماعز" وتسمى بهذا الاسم لأنّ فناني المسرح في اليونان القديمة كانوا يرتدون أزياء جلد الماعز، نسبة إلى طقوس مسرحية ودينية كان يتم فيها غناء الكورس(الجوقة) مع التضحية بالماعز في اليونان القديمة.

أرسطو:

(محاكاة.... فعل تام نبيل لها طول معلوم بلغة مزودة بألوان من التزيين ... تختلف وفقا لاختلاف الأجزاء وهذه المحاكاة تتم علي يد أشخاص يفعلون لا عن طريق الحكاية والقصص وتثير عاطفتي الخوف والشفقة فتؤدي إلى التطهير من هذه الانفعالات وأقصد باللغة المزودة بألوان التزيين تلك التي فيها إيقاع ولحن ونشيد واقصد بقولي تختلف وفقا لاختلاف الأجزاء أن بعض الأجزاء تؤلف بمجرد استخدام الوزن وبعضها الآخر باستخدام النشيد).

02-المحاكاة:Imitation

<u>عند أفلاطون:</u> الطبيعة والحياة الإنسانية محاكاة للمثل الأعلى وعمل الشاعر هو محاكاة حرفية لهذا المثل وعلى ذلك يصبح عمله محاكاة للمحاكاة.

<u>عند أرسطو:</u> الشاعر يحاكي الطبيعة محاكاة غير حرفية، إذن هي ليست محاكاة للمحاكاة وإنما فيها الكثير من التغيير تحت تأثير مخيلة الشاعر لان الفن يحاكي الممكن والمحتمل محاكاته أقرب ما تكون إلى الكمال أي للمثال الأصلي، أي صورة منسوخة للطبيعة.

إذن المحاكاة عند أرسطو لا تعني تصوير الواقع أو نقل الطبيعة نقلا حرفيا، وإنما تعني تمثيل أو محاكاة الحياة أو الحدث الذي يمكن أن يحدث، أي أن الفن هو إعادة إبداع اي انه إكمال ما لم تكمله الطبيعة وإضافة لإحساس المؤلف ونظرته الفكرية وتصوره الشخصي .

تتم المحاكاة من خلال ثلاث طرق:

-أن يمثل الأشياء كما هي.

-أن يصور الأشخاص كما يراهم الناس أو كما يبدون.

-أن يصور الأشخاص كما يجب أن يكونوا عليه اي يرتفع ويسمو بالواقع.

-الفعل: صفة إنسانية لذا يستطيع الإنسان التحكم في إراداته الإنسانية اي في فعله ولما كان الفعل من سلوكيات البشر فانه بالضرورة يتم عن طريق التمثيل اي الفعل المرئي إذن الفعل حدث والحدث الدرامي هو الحركة الداخلية لما يتابعه المشاهدون من أحداث سواء بعينه أو بأذنيه .

-نبيل: والنبل في قصد أرسطو انه فعل محسوب ومهم ومؤثر وله أبعاد بطولية اي أن المأساة تتناول موضوعات جادة وعلي قدر عظيم من الأهمية والخطر وتعالج مشكلة السلوك الإنساني بين الفرد والجماعة في صراعه مع من حوله من كائنات ويتسم الصراع فيها بين القوتين بالشراسة وهي تناقش قدر الإنسان والخير والشر فيه، وعلاقته بالقوي الغيبية ونتائج سلوكه سلبا و إيجابا وكشف القيم وتعميقها.

- تام: الحدث التام هو ذلك الحدث الكامل الذي يحتوي على فكرة كاملة تتم عن طبيعته وتوضح أسبابه ودوافعه وما يترتب عليه من أثار.

ويرى أرسطو أن يكون لهذا الحدث:

√ بداية (وهي الشيء الذي لا يسبقه شيء أخر ولكن يتبعه شيء آخر) تمهيد للأحداث طبقا لقانون الضرورة والاحتمال.

√ وسط (وهو الشيء المسبوق بشيء ويتبعه شيء آخر) ويتم فيه عرض لهذه الأحداث وتفاصيل دقائقها.

√ نهاية (وهي الشيء المسبوق بشيء ولكن لا يتبعه شيء آخر) وهي تعني ذروة الأحداث وحلها.

-لها طول معلوم : اي تكون المأساة ذات طول أو حجم يتناسب مع قدر وحجم الفعل الذي تحاكيه دون تركيز علي تفصيلات لا تخدم الفكرة، وحتي لا يمل الجمهور .

-وحدة الحدث: أهم الوحدات الثلاثة ، فالحدث الدرامي هو بدء المسرحية عند تفجر الصراع، ويلاحظ أن الحدث في الحياة أو الواقع يحتمل أكثر من نهاية لان منطق الحياة يحكمه أما الحدث في العمل الفني لا يتحمل إلا نهاية واحدة لان المنطق الفني هو الذي يحكمه كذلك وجود عنصر السببية.

-وحدة الزمان

- وحدة المكان

-إثارة الرحمة والخوف

03-أهم الأعلام:

ومن بين الكتاب المسرحيين أو المؤلفين الذين يمثلون المسرح اليوناني، يبرز ما يلي:

أ- ثيسبيس (Thespis):

عاش في أثينا في أواسط القرن السادس قبل الميلاد، أراد أن يعطي الأناشيد التي كانت تنشد في العروض، شيئا من التشويق عن طريق التجسيد، فبعد أن كان المنشدون يسردون الأحداث والمواقف، بكل ما فيها من حديث فيه أخذ ورد، بين الشخصيات التي يتناولها المنشدون عمل ثيسبيس على تطوير هذه الطريقة عام 333 ق.م . وقف ثيسبيس على منضدة أو مذبح ديونيسوس نفسه، وخاطب أحد أف ا رد الجوقة، حيث ولد الحوار المسرحي اليوناني .فألهمت هذه الخطوة ثيسبيس إلى التفريق بين الممثل والجوقة .ولقد اعتبر وقوفه على المنضدة أو المذبح بداية ظهور خشبة المسرح وبذلك يكون قد وضع الدراما اليونانية في أول الطريق، حتى يأتي من بعده أسخيلوس ويكمل الطريق الذي بدأه، وبهذا التطوير تحول سرد مجموعة المنشدين أو الكورس(choros) للحديث بشكل غير مباشر إلى حوار مباشر، بين رئيس الكورس وبين من يقوم بدور الشخصية المطلوبة بهدف تجسيد الموضوعات، التي تتحدث عنها أناشيد الكورس، وبظهور هذا الاتجاه أو هذا التطور نحو تجسيد الإلقاء.

لقد انطلقت النهضة الفنية الجدية في أثينا، في أوائل القرن الخامس قبل الميلاد،

ب-أسخيلوس:

يعتبر أسخيلوس من أوائل الأدباء الكبار، ويقول بعض المؤرخين أنه ولد في مدينة إيلوزيس، من مقاطعة أتيكا حوالي العام 525 ق.م، إلا أن بعض المؤرخين يذهبون إلى وضع تاريخ زمني مغاير لهذا التاريخ، وهو العام 514 ق.م، أما تاريخ الوفاة فهو عام 456 ق.م، وهو من أسرة أرستقراطية، كانت تقاوم النظم الديموقراطية، كانت أسرته متمسكة في الدين، شأنها في ذلك شأن كل سكان مدينة إيلوزيس، فنشأ أسخيلوس متدينا ورعا يعظم الآلهة ويحيها .لا شك أن هذا الإيحاء الديني، كان له أثره القوي فيما أنتجه من أدب مسرحي، ولا سيما في هذا القرن، الذي كان الأدب فيه، يقوم على الدين وعلى حياة الإله. بدء يكتب مسرحياته في سن مبكرة، لدرجة أنه وهو في سن الخامسة والعشرين من عمره، تقدم للمسابقة التمثيلية، ولعل وقوف أثينا الموفق في وجه الفرس، هو الذي بعث فيه القوة لكتابة المسرحيات، حيث شارك أسخيلوس وأخوه في

معركة مارتون ضد الفرس وأظهروا من الشجاعة ما جعل أثينا تأمر بعمل صورة تخلد بها بطولتهم.

انتزع منه سوفوكليس الجائزة الأولى للمسرحية، بعد أن ظل مسيطرا على الأدب الأثيني جيلا كاملا .وفي عام 454 ق.م، نال آخر انتصاراته وأعظمها، بإخراج أوريستيا مسرحيته الثلاثية.

ويظهر أن سوفوكليس وتقدمه في فن التمثيل، أثر على نفسية أسخيلوس تأثيرا كبيرا، إذ نراه يهجر بلاد اليونان ويرحل إلى صقلية، حيث توفي فيها عام 456 ق.م، ومن المؤرخين من يرى أن سبب هجرته أنه خشي على سمعته من سوفوكليس فهاجر

ويعرف أسخيلوس في تاريخ الآداب العالمية بأنه أبو التراجيديا، بالرغم من معرفة اليونان للتمثيل قبله، حيث أن أسخيلوس يرجع الفضل إليه، في جعل الفن المسرحي، في صوة ر تكاد تكون نهائية فكل الذين جاؤوا بعده نهجوا على منواله، فاتخذوا التقاليد التي وضعها في مسرحياته أساسا، وقد قيل أنه أول من أوجد الحركة المسرحية، حيث أضاف ممثلا ثانيا، إلى الممثل الذي أخرجه ثيسبيس، من بين فرقة المغنيين، وهذا ما أكد عليه أرسطو، بأن إضافة الممثل الثاني ما هو إلا من انتاج أسخيلوس، وبذلك استطاع أن يجعل الحوار بين هؤلاء الممثلين، وقام بذلك بنقل الترتيلات الديونيسية من قصيدة دينية غنائية إلى مسرحية ، ثم اتخذ أسخيلوس عنصر الديكور ليكون له وللممثلين عونا، في أداء الأدوار ومحاكاة الحياة، وكذلك اهتم بالملابس، وهذا كان جديدا على المسرح اليوناني، وله يعود الفضل في اختراع وايجاد هذه الإضافات، كما أن أسخيلوس اتخذ موضوع القضاء والقدر لمسرحياته بأن جعل الإنسان بل الآلهة يخضعون لهذه الفكرة، فالإنسان يهزم هزيمة مفجعة، ولسبيل للهروب منها، مما يجعل أعمال البشر مسيرة إلى غاية مرسومة.

وهناك فكرة أخرى في مسرحيات أسخيلوس وهي فكرة الحق، حيث وضع في كل قصة من قصصه جمهور المشاهدين، أمام حق ضائع يبحثون عنه، وعنده هذا الحق ليس بشيء ثابت، بل يتحول من جانب إلى جانب، وليس هناك صاحب حق مطلق، وإنما يوزع الحق بين الخصوم، فالإنسان لا يستطيع أن يحتفظ بحقه على الدوام، لأنه دائما يطالب بأكثر من حقه، وعندئذ يتحول الحق منه إلى خصمه بعد أن كان بين يديه، فالإنسان الذي يثأر لنفسه يميل دائما، إلى

الإسراف في الأخذ بالثأر، فيظلم ويجور ويرتكب آثاما، تبعده عن حقه الأول، وهكذا حتى تنقضي ذرية هذا الشخص.

لقد كتب أسخيلوس سبعين مسرحية ويقال ثمانين، لم يبق منها إلا سبع، وكان أشهرها مسرحية روميثيوس المقيد أو السجين، وأعظمها كانت مسرحية أوريستسا الثلاثية، تقدم أسخيلوس إلى المسابقات التمثيلية، وفاز في ثلاث عشرة مرة منها، حتى جاء سوفوكليس وانتزع الزعامة منه.

أما إذا نظرنا إلى النواحي الفنية، سنرى أنه أدخل تحسينات عديدة على الفن المسرحي، على ملابس الممثلين والأقنعة والديكور والحيل المسرحية، من إيجاد روافع لترفع الأبطال بها إلى السماء، أو لتهبط بها الآلهة إلى الأرض، وكان الرعد يمثل بإلقاء كتل من الحجارة أو الحديد في حوض نحاس فيه ماء، والبرق بإظهار مشاعل تتحرك بسرعة شديدة .وأصبحت الملابس في أشكال هندسية منتظمة من أقمشة فاخرة، كما كانت الملابس فضفاضة تتجلى فيها عظمة وجلالة الأبطال والآلهة.

ج-سوفوكليس(Sophocles)

ولد في قرية كولونا بالقرب من أثينا، حوالي العام 490 ق.م، وتوفي في العام 406 ق.م، كان ابن صانع سيوف، ولذلك جمع ثروة من هذه المهنة، وخاصة إبان حرب البلوبونيز، ثم انتقل إلى أثينا وتعلم المصارعة، ولعب الكرة والعزف على الآلات الموسيقية، لم يكن له لون سياسي فلم يتعصب للحزب الديموقراطي ولا للأرستقراطي، إنما تعصب فقط لانتسابه لمقاطعة أتيكا وأثينا، ولم يكن متدينا مثل أسخيلوس إنما كان معتدلا، كتب سوفوكليس 113 مسرحية، لم يبق منها إلا سبع، ويقول أرستوفانس :إن إحدى مسرحياته وهي (أوديب ملكا)بأنها المسرحية الكاملة، التي يجب أن تتخذ مثالا للأدب المسرحي، وقد نال الجائزة الأولى في الحفلات الديونيسية، ثماني عشرة مرة، وقد حصل على أول جوائزه في سن الخامسة والعشرين في عام 468 ق.م، وحصل على آخرها في سن الخامسة والثمانين من عمره، حيث سيطر على المسرح الأثيني ثلاثين عاما.

إن تاريخ الأدب المسرحي، يذكر لسوفوكليس أنه خطا بالتراجيديا إلى الأمام خطوات واسعة، بعد أن مهد له أسخيلوس الطريق، فقد زاد عدد الممثلين من اثنين إلى ثلاثة، وجعل أفراد الجوقة خمسة عشر فردا، بعد أن كانوا اثني عشر، ولكن على الرغم من أنه زاد في أعداد الكورس، قلل من أهميته، ومن ناحية أخرى صور على الحائط، كل ما كانت تشتمل عليه القصة من مناظر

أما فلسفة مسرحياته وهو الشيء العظيم، الذي أوجده في الأدب اليوناني وفي التراجيديا بشكل خاص، هو شعور الإنسان بشخصيته ووجوده، وهنا يظهر الخلاف بين أسخيلوس وسوفوكليس، ففي قصص أسخيلوس نرى الإنسان ضعيفا ، أمام إرادة وقوة الإله، أما سوفوكليس فقامت فلسفته في قصصه، على الإنسان الحر العامل المفكر، فنرى سوفوكليس يغير في المسرحية القديمة، فبدلا من أن يجعل الحرب أو الصراع بين الإرادة الإلهية وبين الإنسان، جعل الصراع بين إرادتين من إرادات الإنسان، وبذلك جعل الآلهة يديرون أمر البشر عن بعد، بمعنى أنه جعل الآلهة، تقضي بين الصراع، الذي نشب بين الإرادتين الإنسانيتين، وهنا يظهر الفرق جليا بين أسخيلوس وسوفوكليس، وهو تطور في الفكر اليوناني بين جيلين، وقد نشأ هذا التطور من شعور اليونانيين بالحرية والمساواة، وشعور كل فرد باليونان بوجوده الإنساني، وأن لكل فرد إرادة خاصة.

لقد آمن سوفوكليس بداخل نفسه، أنه لا يوجد إنسان لا يجد مساعدة، ومن ناحية أخرى طور الأدب المسرحي، بأن جعل موضوعه إنسانيا، حيث كان يتجه إلى الناحية المثالية، في رسم شخصياته، فكان يرى أن التمثيل، يجب أن يتجه إلى المثل العليا، وبذلك كثرت المواعظ والنصائح في مسرحياته، حتى ذهب بعض النقاد إلى القول بأن مسرح سوفوكليس مسرح أخلاقي.

د-يوربيديس(Euripides)

ولد يوربيديس بعد سوفوكليس بعشر سنوات في عام 485 ق.م، ومنهم من يقول في عام 480 ق.م، وبالتخصيص في يوم معركة سلاميس البحرية عام 480 ق.م، وكان أبوه منيسارخوس Menesarchus من رجال الأعمال الأثرياء، فإذا كان أسخيلوس قد شق بشعره القوي وفلسفته الصارمة الطريق الذي سارت فيه المسرحية اليونانية وحدد أشكالها، ثم هذب سوفوكليس هذا الفن بموسيقاه المتزنة وحكمته الهادئة، أتم يوربيديس تطور هذا الفن، بمؤلفاته التي تفيض بالشعور الجائش، والشك القوي، لقد كان شاعرا ذا إحساس مرهف، يشعر بالمشاكل الإنسانية شعورا قويا، حيث كان ينتزع عواطف الجماهير، ويؤثر عليهم تأثيرا شديدا، بل بلغ به الأمر أن جعل جمهوره يبكي بكاء شديدا لشدة تأثره بأقواله، وكان سبب هذا كله الموضوع الذي يختاره، إذ كان يتخذ أشد المآسي الإنسانية فجيعة حتى يستطيع أن يؤثر بها على الجمهور، أما السبب الثاني هو صياغة هذا الموضوع وتصوير المأساة حتى تنتهي المسرحية بأشد الأسى رعبا وأعنفها حدثا .

كان يوربيديس حين يرسم الشخصيات، يبحث دائما عن القوانين الأخلاقية والأدب الإنساني، فالفضائل والرذائل الإنسانية، أخذت حيزا كبيرا جدا في كل مسرحية من مسرحياته، كان يدين بمذهب الشك، وهو نفسه المذهب الذي نادى به سقراط، ولذلك نظر يوربيديس إلى الأساطير اليونانية القديمة، التي استخدمها شعراء التمثيل مادة لموضوعاتهم، نظر إليها نظرة شك، ورجل ثائر على هذه الآراء القديمة، التي عرضها اليونان منذ قرون قبل وجوده .حيث نظر إلى الأبطال الذين قدسهم اليونانيون، وإلى الآلهة نظرة جديدة، فحولهم إلى أشخاص عاديين نراهم في الحياة اليومية، فنزلت الكترا، التي اعتبرت من الأبطال عند أسخيلوس، إلى فتاة عادية تذهب لتأتي بالماء من البئر، وتتزوج فلاحا، وبهذا يكون قد أنزل الأبطال من عليائهم، وجعلهم يسيرون في الشوارع والطرقات على الأرض، بدلا من الأبراج العالية والقصور الشامخة، وقد نادى بإلغاء الفروق الإجتماعية في المجتمع اليوناني، وأن لا يقام وزن إلى هذه الدماء الملكية، التي تجري في العروق، وهكذا بدأت ألوان الفلسفة تدخل في المسرح التراجيدي، على يد يوربيديس صديق سقراط.

كان يوربيديس حريصا أشد الحرص، على أن لا يظهر أراءه الدينية، ظهورا واضحا أمام الناس، لم يشأ أن يصرح بآرائه عن الدين والآلهة، إنما احتاط أن لا يغضب جماهيره، فكان يبدأ مسرحياته بالتحدث عن الآلهة، حسب التقاليد اليونانية القديمة، ويختمها بالحديث عن الآلهة أيضا، ولكن في ثنايا المسرحية، كان يثبت آراءه الدينية بطريقة صريحة، لقد تجرأ يوربيديس أيضا على نقد المجتمع، في مهاجمة نظام الرقيق، الذي كان يسود البلاد، حيث بنهاية الحروب يسترق الأحرار الأبرياء، ولذلك جعل للعبيد الأرقاء دورا مهما في مسرحياته، وبدلا من أن يجعل هؤلاء العبيد موضع سخرية وهزل، لا يصلحون لشيء يجعلهم من البشر العاديين، لهم ما لغيرهم من عاطفة وشعور، وكان يحاول في هذا النوع من الموضوعات، اصلاح الفكرة الخاطئة، التي كانت تسود المجتمع عن العبيد، كان يوربيديس أول شاعر مسرحي، جعل الحب موضوعا من موضوعاته، نصيرا للمرأة محاولا تحريرها من بعض القيود، التي فرضتها البلاد والتقاليد اليونانية عليها.

المراجع:

- أنس أحمد الشامي، تاريخ المسرح الروماني ووظيفته (200ق.م –330 م) ، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في تاريخ الشرق القديم، جامعة دمشق،2019/2018.